

بالقارب المحمل شباكاً، وقفزنا إلى اليابسة. بدا كل شيء بالغ الهدوء وبالغ الوحشة، حتى أننا سارعنا إلى اشعال غلاييننا ولفافاتنا. بعيداً عنا كان هناك مستنقع يلمع، وآخر أبعد بقليل عن يمين. وتمتد من فوق، سلاسل سوداء تشبه بعض حين غيوماً صغيرة داكنة؛ أسراب بط تطير فوق مستوى المياه الهادئة.

« انظر يا يورا، يقول لي ايليا وهو يشرع بندقيته... هل ترى ما أنا أرى؟... فيقاطعه الربان:

- انتظروا الصيادين. ماركو فيتش، شيلكوف، امضيا فاحملا القدر إلى الإيسبا وأبلغا صاحبها إننا قادمون بعد قليل ومعنا سمك للحساء. أما المضيفة فقولا لها أن تتزين لأن معنا شعراء مشهورين من موسكوا وهم يكتبون عن الحب وسيغنون بها بأشعار غنائية!...»

كان الربان يضحك بقلب خلي ويدفعني بمرفقه. كنت قد لاحظت للتو وجود حزمة حطب قرب الشط، وركام داكن لا أدري ما هو في السهب، كما لاحظت أخيراً في قلب فرجة رملية - وجود منزل رمادي مزرق. كنت أبحث دون جدوى عن آثار أخرى فيها البحاران يلجان الماء لأخذ القدر التي بقيت في القارب ولتجهيز الشباك، وقد أثار حميتها الربان الذي كان يستعجلها.

سألني ايليا:

« هل سبق لك يا يورا أن ذقت سمك الأومول؟ ما من تشابه إطلاقاً مع طعم السلمون. سترى ذلك في الحساء.

- أو مجففاً مع الجعة، تدخل الربان قائلاً، ثم صرخ: من الذي يرتب